

من مصادر تاريخ الدولة السعودية

مخطوطة

الأخبار النجدية

تأليف

محمد بن عمر الفاخري

أعد هذه الدراسة

الأستاذ عبد الله بن يوسف الشبل

الأمين العام للجامعة

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله ، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

يعاني الباحث في تاريخ نجد صعوبة في الحصول على المعلومات التاريخية التي يتخذ منها قاعدة لانطلاقه في اعداد أي إنتاج علمي ، ومنشأ هذه الصعوبة ندرة ما كتب عن نجد ، وقلته ، وربما انعدامه عن بعض الفترات .

وهذا الموضوع عاجلته في دراستي للمصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية وأوردت التعليل التاريخي لهذا النقص وذلك الشح .

وقد أدركت هذا النقص منذ كنت طالباً بقسم التاريخ بجامعة الرياض ، منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، وكنت حريصاً على الحصول على أي وثيقة أو مخطوطة لعلها تسد ثغرة من الفراغ الذي يشكو منه من يريد الاطلاع أو الكتابة عن تاريخ نجد . وقد لمست هذا القصور بشكل أوضح — عندما طلب مني تأليف كتاب عن « تاريخ العالم الإسلامي العربي » في عصر الدولة العثمانية ، وفي مقدمته تاريخ نجد

والدولة السعودية . وكذا عندما كنت ادرس تاريخ الدولة السعودية لطلاب اللسانس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، مما أوجد عندي قناعة بأن أي عمل علمي — من نشر وثيقة أو تحقيق مخطوطة — مهما صغر حجم هذا العمل سيكون مع مر الزمان ثروة في المعلومات التاريخية تعطي الخطوط العريضة لمن يريد كتابة تاريخ نجد .

وكان من بين ما حرصت على الحصول عليه تاريخ مخطوط كتبه محمد بن عمر الفاخري وكان أولاً في حوزة ناسخه الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن ناصر ، ثم انتقل منه إلى الشيخ محمد بن حمد العمري الذي تكرم — مشكوراً — بإعارتي هذه النسخة عام ١٣٨٦هـ (١٩٦٦) لتصويرها . وقد اقتنتها أخيراً جامعة الرياض . ومن خلال معاشتي لهذه المخطوطة تبين لي مدى قيمة المعلومات التاريخية التي تضمنتها ، وتبرز أهميتها عندما نلاحظ ما يأتي :

١ — أن هذه المخطوطة لم يسبق نشرها ، لا محققة ولا غير محققة .

٢ — أن تداول هذه المخطوطة لا يزال محصوراً في نطاق ضيق بين الطبقة المهمة بأخبار وتاريخ نجد ويكاد يغلب على الظن — الآن — أنه لا يوجد سوى النسختين اللتين رجعت إليهما ، وهما :

أ) نسخة منسوخة من خط المؤلف بخط عبد الرحمن بن محمد بن ناصر ، وقد رمزت لها بالحرف (ن) .

ب) نسخة منسوخة من خط المؤلف بخط محمد بن حمد العمري ، وقد رمزت لها بالحرف (ع) .

والنسخة الأولى أقدم وأقرب في أسلوبها ، ولغتها ، ومضمونها إلى الواقع التاريخي للعصر الذي كتبت فيه .

وقد بنيت هذا الحكم الظني بعدم وجود نسخ أخرى من المخطوطة بعد أن كاتبت دور المخطوطات العالمية بشأنها ، فنفوا أي علم عنها .

٣ - أن المعلومات التي تضمنتها المخطوطة تغطي فترة طويلة من تاريخ نجد والدولة السعودية تمتد من عام ٨٥٠هـ - ١٢٨٨هـ .

٤ - أن الأخبار التي رواها الفاخري - نقلاً أو مشافهة - عن الفترة الواقعة بين نهاية تاريخ المنقور (١١٢٣هـ) إلى بداية تاريخ الدولة السعودية الأولى (١١٥٧هـ) لم تكن لتعرف لولا تاريخ الفاخري .

٥ - أن الأخبار التي أوردتها عن تاريخ الدولة السعودية الأولى قد تتفق أحياناً مع الوقائع التاريخية التي رواها معاصره (ابن غنام) في تاريخه ، وهذه ناحية تهم المؤرخ ، لأنه بذلك يؤكد مارواه ابن غنام - في الحقائق التي قد تحتاج إلى تأكيد - وبخاصة إذا عرفنا أن الفاخري تميز عن ابن غنام بتجرده وعدم تحيزه . ثم إنه قد أضاف أخباراً لم يذكرها ابن غنام .

٦ - أن الأحداث التي رواها منذ العقدين الثاني والثالث من القرن الثالث عشر الهجري عن الدولة السعودية الأولى والثانية تعتبر ذات قيمة تاريخية من حيث إنه يعد شاهد عيان لبعض أحداثها ومعاصراً للبعض الآخر على الأقل .

٧ - أن من عاصره من المؤرخين - كابن بشر أو جاء بعده كابن عيسى وغيره - قد نقلوا عنه كثيراً من أخبارهم ومعلوماتهم التاريخية ، والمؤرخ أو الباحث تهمة أصالة المعلومات التي يبني عليها إنتاجه العلمي .

مؤلف المخطوطة :

هو محمد بن عمر بن حسن بن محمد بن فاخر بن حسن بن سليمان بن عيسى بن علي بن عثمان بن عبدالله بن مشرف الوهبي النجدي الحنبلي .

ولد عام ١١٨٦هـ (١٧٧٢م) في بلدة التويم بإقليم سدير ، ونشأ بها وقرأ القرآن فيها^(١) . وتوفي والده عام ١٢٢٢هـ ، ثم انتقل إلى الاحساء عام ١٢٢٨هـ وبقي فيها حتى عام ١٢٣٥هـ ، حيث عاد إلى بلدته التويم ثم انتقل إلى حرمة وظل فيها حتى توفي^(٢) عام ١٢٧٧هـ^(٣) « وكان رحمه الله أحد أدباء نجد في زمانه ، وكان جيد الخط – وقد حصل كتباً كثيرة بخطه الحسن وله نقولات كثيرة في مختلف العلوم ، وقد جمع كتاباً بالأدعية النبوية ، ولكنه قد تلف بسبب الأرضة ولم يبق منه إلا ورقات قليلة ، وقد رأيتها بخطه ، وله معرفة بالشعر »^(٤) .

اسم المخطوطة :

لا يوجد اسم أو عنوان للمخطوطة في أي من النسختين ، وقد أطلقت عليها اسم (الأخبار النجدية) استثناساً بما ذكره الناسخ (عبد الرحمن بن محمد بن ناصر) من أنها مشتملة على بعض الأخبار النجدية وتميزاً لها عن كثير من المؤلفات التي اشتهرت بتاريخ نجد .

التعريف بالمخطوطة :

لا توجد النسخة الأصلية المكتوبة بخط المؤلف ، فهي في حكم المفقودة ، وإنما الموجود منها نسختان منسوختان من خط المؤلف ، قام بنسخهما ناسخان مختلفان .

(١) مقدمة النسخة (ع) وهذه الترجمة نقلها الناسخ (العمري) من خط عبد الرحمن بن عبدالله بن حمد التويجري .

(٢) الشيخ حمد الجاسر : مؤرخو نجد ... مجلة العرب ج ٩ ص ٧٩٤ .

(٣) المخطوطة (النسخة ن) ص ١٤٣ حوادث سنة ١٢٧٧هـ تكلمة الفاخري الابن .

(٤) مقدمة النسخة (ع) .

١ - النسخة الأولى - التي أطلقنا عليها النسخة (ن) نسبة إلى ناسخها وهو عبد الرحمن^(١) بن محمد بن ناصر . وقد حصلت على صورة منها عام ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م من الشيخ محمد بن حمد العمري .

وتقع هذه النسخة في ١٥٢ صفحة من القطع المتوسط ، تراوح أسطر الصفحة الواحدة بين ١٤ ، ١٦ سطراً في الغالب ، وقد ورد في الصفحة الأولى من المخطوطة العبارة التالية الواردة على لسان الناسخ عبد الرحمن بن محمد بن ناصر : « رعبت بقلم محمد بن عمر الفاخري عدة أوراق فإذا هي مشتملة على بعض الأخبار النجدية فيما مضى ، وقد مال صاحبها إلى الاختصار ، فأحببت أن أنقلها وهذا أولها » .

تبدأ المخطوطة بذكر أحداث سنة ٨٥٠ هـ ، وتنتهي بأحداث شهر ربيع الأول عام ١٢٨٨ هـ ، كتب محمد بن عمر الفاخري من أولها حتى جمادى الأولى ١٢٧٧ هـ وأكمل ابنه عبدالله الجزء المتبقي من المخطوطة حتى نهايتها . وتبدو الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية في كتابة الابن أكثر منها في كتابة والده .

ويلاحظ أن المؤلف لم يسجل من أحداث النصف الثاني من القرن التاسع الهجري سوى أحداث عام ٨٥٠ هـ .

أما القرن العاشر الهجري فقد أرخ فيه للسنوات التالية : ٩١٢ هـ ، ٩٢٨ هـ ، ٩٤٨ هـ ، ٩٨٨ هـ . وقد تكررت السنة الأخيرة عند المؤلف ، وبمقارنتها بالنسخة الثانية التي رمزنا إليها بالنسخة (ع) تبين أن أحداث هذه السنة ذكرت عام ٩٨٩ هـ ، وكذلك ذكره العصامي^(٢) .

(١) عبد الرحمن بن محمد بن ناصر من الأشخاص الذين لم اهتمام بتاريخ الدولة السعودية وقد نسخ عدة كتب وألف كتاباً في تاريخ المملكة سماء عنوان السعد والمجد ويقع في جزئين وهو لا يزال مخطوطاً وقد توفي عام ١٣٩١ هـ تقريباً .

(٢) عبد الملك العصامي : سمط النجوم الموالي ج ٤ ؛ ص ٣٦٩ .

ومنذ بداية القرن الحادي عشر الهجري إلى منتصفه أرخ المؤلف لسبع عشرة سنة .^(١) أما النصف الثاني منه فقد أرخ فيه لخمس وثلاثين سنة غير منتظمة ، أي أنه أغفل خمس^(٢) عشرة سنة متفرقة لم يدون فيها أخباراً .

ومنذ بداية النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري إلى منتصفه فقد أرخ فيه لجميع السنوات ، أي أن المؤلف بدأ ينتظم في كتابة حولياته .

أما النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري ، فقد أرخ فيه لثلاث وأربعين سنة وأغفل ذكر سبع سنوات^(٣) . ومنذ بداية القرن الثالث عشر وحتى نهاية المخطوطة فتضم الحوليات إلا أنه دمج أحداث سنة ١٢٥٤هـ في أحداث سنة ١٢٥٣هـ دون أن يشير إلى ذلك ، وأسقط أحداث سنتي ١٢٥٨هـ ، ١٢٧٢هـ .

وهنا ملحوظة جديرة بالاهتمام وهي أن الصفحات من بداية ٩٤ إلى نهاية ١٢١ كتبت بخط مغاير لخط ناسخ المخطوطة . كما أن عدد أسطر صفحات هذا الجزء تراوح بين ١٨ ، ٢٢ للصفحة الواحدة . كما اختلفت أيضاً طريقته في كتابة السنوات ، فحين يبدأ الناسخ الأول بالآحاد ثم العشرات فالمئات فالآلاف ، حيث يقول : « وفي سنة خمس وعشرين ومائتين وألف » يعكس الناسخ الثاني الوضع فيبدأ بالآلاف ثم المئات فالعشرات فالآحاد . كما تقل الأخطاء الإملائية — نسبياً — عند الناسخ الثاني وهو أجود من خط الناسخ الأول الذي يعد النوع السائد في النصف

(١) السنوات التي أرخ لها هي : ١٠١١هـ ، ١٠١٥هـ ، ١٠١٩هـ ، ١٠٢٢هـ ، ١٠٣٣هـ ، ١٠٣٦هـ ، ١٠٣٧هـ ، ١٠٣٩هـ ، ١٠٤٠هـ ، ١٠٤١هـ ، ١٠٤٣هـ ، ١٠٤٤هـ ، ١٠٤٥هـ ، ١٠٤٧هـ ، ١٠٤٨هـ .

(٢) السنوات التي أغفلها هي : ١٠٥٠هـ ، ١٠٥٣هـ ، ١٠٥٤هـ ، ١٠٥٥هـ ، ١٠٥٨هـ ، ١٠٥٩هـ ، ١٠٦٠هـ ، ١٠٦١هـ ، ١٠٦٢هـ ، ١٠٦٧هـ ، ١٠٦٨هـ ، ١٠٧٣هـ ، ١٠٧٤هـ ، ١٠٧٥هـ ، ١٠٩٤هـ .

(٣) السنوات التي أغفلها هي : ١١٥٠هـ ، ١١٥٢هـ ، ١١٥٦هـ ، ١١٥٧هـ ، ١١٨٠هـ ، ١١٨٧هـ ، ١١٩٢هـ .

الأول من القرن الحالي وما قبله الذي لا يلتزم بقاعدة معينة ، بل هو خليط من الرقعة والنسخ وما لا ينتمي إلى أي قاعدة خطية .

٢ - النسخة الثانية : وقد رمزنا لها بالحرف (ع) نسبة إلى ناسخها وهو محمد ابن حمد العمري^(١) ، وقد صورتها من قسم المخطوطات بجامعة الرياض ، وتقع في ١١٣ صفحة من الحجم المتوسط ، وتراوح سطور كل صفحة بين ١٧ ، ٢٠ سطراً في الغالب وخطها أجود من خط النسخة الثانية : الا أنه لا يلتزم أيضاً بقاعدة معينة .

وتوجد في هذه النسخة من المخطوطة مقدمة بخط الناسخ محمد بن حمد العمري تقع في حوالي خمس صفحات ، وبها ترجمة موجزة لمحمد بن عمر الفخري ، وقد فرغ من نسخ المخطوطة في ١٣٨٠/٥/٢٠ هـ ، ويذكر الناسخ أنه نقل مقدمة المخطوطة عن مقدمة أخرى كتبت بخط عبد الرحمن بن عبد الله بن حمود التويجري بتاريخ ١٣٧١/٤/٢٩ هـ .

وقد حاول الناسخ أن يجد تعليلاً لطريقة الفخري في كتابة هذا المخطوطة على النحو المكتوبة به فيقول : « وطريقته في هذا التاريخ كالفهرسة ، ويمكن والله أعلم أنه لم يقصد أن يجعله تاريخاً جامعاً كعادة المؤرخين ، ولهذا يرسم الواقعة في كثير من الحوادث بألفاظ العامة من غير تكلف لتنسيق الكلام وتحسينه أو انه قصد التاريخ ورسم الحوادث مختصرة فاخترته المنية قبل أن يتمكن من البسط عليها واصلاح ما فيها من لفظ عامي وغيره ، وهذا هو الأخرى ، والله الموفق » .

ولي تعليق على هذا الرأي يتلخص فيما يأتي :

أولاً - ليست كل الكتابات التاريخية مطولات ، بل هناك كتب مختصرة كتبت على النحو الوارد بمخطوطة الفخري ، مثل « تاريخ الخلفاء » للسيوطي .

(١) الشيخ محمد بن حمد العمري ، هو أحد طلبة العلم الذين لهم اهتمام بالأدب والتاريخ وله عناية خاصة بالمخطوطات التي لها صلة بتاريخ الجزيرة وجغرافيتها وأنساب قبائلها وهو لا يزال على قيد الحياة .

وناحية أخرى هو أن المؤلف — كما سنعرف — اعتمد على مصادر مغرقة في الإيجاز كتاريخ المنقور مثلاً فالأمانة العلمية تقتضيه أن يوردها كما وجدها . وليس في استطاعته إضافة أخبار لفترة سابقة لا مصادر لها .

ثانياً — لا يعد ورود الألفاظ العامة في كتابات الفاخري عيباً ، بل إن تصويره للأحداث بألفاظ العامة يكسب الكتابة الواقعية التاريخية لأنها لغة الكتابة في ذلك العصر ، وهو بهذا يشبه — إلى حد ما — ابن بشر والجبرتي في هذا الأمر .

ثالثاً — يغلب على الظن أن العمري نقل نسخته من نسخة عبد الرحمن بن محمد ابن ناصر ، إلا أنه انطلاقاً من رأيه السابق حاول أن يتلافى الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية بحيث يستبدل الألفاظ الأكثر فصاحة بالألفاظ العامة ما أمكنه ذلك .

وتتفق نسخة العمري مع نسخة ابن ناصر في السنوات المسجلة والسنوات المفقودة — فيما عدا — سنة ٩٨٩هـ التي تكررت عند الناسخ (ن) بنسبة ٩٨٨هـ ، وكذلك سنة ١٢٥٨هـ ، فقد وجدت عند الناسخ العمري (ع) وأهملها الناسخ ابن ناصر .

كما أن الناسخ العمري يذكر السنوات بالأرقام قبل كتابتها بالحروف ، في حين يقتصر في النسخة (ن) على كتابتها بالحروف فقط .

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على النسخة التي كتبها عبد الرحمن بن محمد ابن ناصر ورمزنا لها بالحرف (ن) ، وذلك لقدمها ولاتفاق أسلوبها مع أسلوب العصر وروحها ، ولاعتقادنا أن النسخة الثانية نقلت عنها بعد أن أدخل الناسخ الثاني (العمري) ما رآه من تعديلات ، لغوية ، ونحوية ، وإملائية لا تتفق مع أسلوب الكتابة ، وطريقتها التي كانت سائدة في القرن الماضي .

منهج المؤلف :

لا يختلف منهج المؤلف عن منهج من سبقوه أو عاصروه ممن قلدوا مدرسة المؤرخين المسلمين كالطبري ، وابن الجوزي ، وابن الأثير ، وابن كثير ، وابن تغري بردي ، والمقرئزي ، والجبرتي ، فهو لا يتناول موضوعاً أو قضية بعينها وإنما اتبع طريقة الحوليات الحجرية في كتابته للأحداث التاريخية التي تناولت أخباراً سياسية واقتصادية واجتماعية كما يذكر التغيرات الجوية ، ووفيات الأعيان وخاصة العلماء والأمرء . وقد يذكر وفيات أفراد وشخصيات عادية ، وهو لا يذكر الوفيات في أواخر أحداث كل سنة كما فعل ابن الجوزي ، وابن الأثير ، والجبرتي وغيرهم ، وإنما ذكر بعضها في سياق ذكره للأخبار ، والبعض الآخر في نهاية كل عام . ومن منهجه أنه لا يذكر تراجم من ذكر وفياتهم - كما فعل ابن الجوزي والجبرتي - إلا نادراً .

ولم يشر المؤلف إلى المنهج الذي سلكه في سرد الأحداث التاريخية ، ولا المصادر التي استقى منها معلوماته ، رغم التأكد عن طريق المقارنة أنه اعتمد على بعض المصادر الأخرى ، كما سيأتي في الحديث عن مصادره ، وقد وردت إشارتان^(١) تدلان على أنه نقل عن المنقور .

ومما يلاحظ أن المؤلف التزم الاختصار الشديد في سرد أخبار السنوات السابقة لعصره ، ومرد ذلك كما أسلفنا أنه اعتمد على مصادر تروي الأحداث موجزة . أما الأحداث التي عاصرها فقد تميزت بالتفاصيل ، وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بحروب الدولة السعودية الأولى مع جيوش محمد علي ، والسنوات التي تلتها مباشرة لأن البلاد أصبحت نهب الشقاق والفوضى ، واستيقظت الأحن والثارات القديمة القبلية والقروية . وكذلك السنوات التي أرخ فيها لتوسع الدولة السعودية الثانية في عهد الإمام تركي ثم عن عودة جيوش محمد علي بصحبة خالد بن سعود وبقيادة اسماعيل آغا ثم خورشيد باشا .

(١) المخطوطة ص ٢٠ ، ص ٢٤ .

وإذا كان من عاصريهم من المؤرخين - كابن غنام وابن بشر - قد اتصفت كتابتهم بالتعاطف مع الدولة السعودية فإن الفاخري تميز عن هذين المؤرخين بالاعتدال والحيدة في رواية الأحداث ويستأنس لهذا الرأي بأنه في الوقت نفسه الذي يذكر فيه وفيات أئمة الدعوة ورجالها يذكر وفيسات العلماء الآخرين الذين عرفوا بمعارضتهم لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كآل فيروز ، وآل سلوم .

أسلوب الفاخري ولغته :

أولاً : الأسلوب : بالرغم من أن الفاخري كان معاصراً لابن غنام الذي بلغت كتابته في مؤلفه (تاريخ نجد) حد التقعر في إظهار براعته اللغوية والبلاغية ، وبخاصة في استعمال المحسنات اللفظية كالسجع والجناس والطباق . . . الخ . فإن الفاخري على النقيض من ابن غنام حيث استعمل أسلوباً مفرطاً في السهولة ، وقد يتدنى إلى حد الابتدال ، ولما كان الفاخري قد اعتمد على أكثر من مصدر ممن سبقوه في تدوين أخبار بلاد نجد ، فإنه يبدو تأثيره بمن نقل عنهم ، وعلى وجه الخصوص المنفور ، من حيث الإيجاز ، وقصر الجمل ، وكثافة ما تضمنته الجملة من معلومات وأخبار ، ومع ذلك لا يخلو أسلوب ما كتبه عن هذه الفترة من ضعف أو ركافة وعدم فصاحة ، وهذا يأتي من كثرة المفردات العامية التي استعملها ، أو من ضعف التأليف (بناء الجملة) .

ومن أمثلة ضعف الأسلوب « وفيها كثر الجراد وموت الناس من أكله »^(١) ومن أمثلة الركافة ، وعدم الفصاحة بسبب الأخطاء النحوية واللغوية : « وفيها اجتماع الروضة لماضي ووسطوة راعي القصب في الحريق هو وابن يوسف صاحب الحريق فملكوه وقتلوا ابني راشد بن بريد محمد وأخاه وفيها حراة أهل أشيقر عند الحما وأخذ الشريف ومن معه أخذهم بني حسين »^(٢) .

(١) المخطوطة ص ١٥ .

(٢) المخطوطة ص ٢٨ .

ومن أمثلة ضعف التأليف وعدم وضوح المقصود ، وربما كان ذلك بسبب تصرف الناسخ : « مات قاضي نجم بن عبدالله الحميد في بلد ثادق »^(١) .

و « وفي سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف قاضي بن صويط في خبر السبله »^(٢) و « وقاض بن صويط بين الشام والعراق »^(٣) .

ومن مقارنة هذه الأمثلة يبدو أن الناسخ استشكل الحملة الأولى التي صحتها « قاض نجم بن عبدالله الحميد في بلد ثادق » بسبب خطأ إملائي في (قاض) حيث كتبت بالضاد وليست بالظاء « وباشتقاق كلمة قاض من (القيظ) بمعنى أمضى فترة القيظ لذا اجتهد الناسخ فأضاف كلمة (مات) إلى الحملة الأولى .

وفي الحملة الثانية لم يتضح له المعنى فتركها كما وردت فجاءت الحملة غير تامة إذ هي بالصيغة الواردة مبتدأ لا خبر له . ولما تكرر الاستعمال ثالثة وضح المعنى للناسخ فأبقى الفعل (قاض) مع استمرار الخطأ الإملائي . ولعل مما يستشهد به لسلامة هذا الاستنتاج أن ابن بشر وهو ممن نقل عن الفاخري روى الحملة الأولى : « وفيها قاض نجم . . . الخ »^(٤) .

ونلاحظ أن الأسلوب يتدنى بشكل أوضح منذ عام ١١٢٥هـ حتى بداية الحديث عن الدولة السعودية الأولى فيما بعد عام ١١٦٠هـ ، ولعل ذلك لتأثره بمن نقل عنه في هذه الفترة وربما كان مستواه أدنى من مستوى المنقول .

ومن العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري يتحسن الأسلوب نسبياً ولعل ذلك لأن أحداث هذه الفترة ، وما تلاها قد عاصرها الفاخري ، ويكاد الأسلوب

(١) المخطوطة ص ٣١ .

(٢) المخطوطة ص ٣٥ .

(٣) المخطوطة ص ٣٧ .

(٤) ابن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ج ١ ص ١٥٤ .

فيها يتخذ مساراً واحداً حتى نهاية المخطوطة ، إلا فيما نلمحه من كثرة استعمال الكلمات العامة — إضافة إلى الأخطاء الإملائية — في التكملة التي دون أخبارها الفاخري الابن (١٢٧٧هـ-١٢٨٨هـ) .

ثانياً — الأخطاء النحوية : أما الأخطاء النحوية فتكاد تشمل معظم أبواب النحو ، لكن أكثرها شيوعاً لغة (أكلوني البراغيث) أو ما يسميها بعض النحاة لغة (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) وأورد نماذج من ذلك — على سبيل المثال ، لأنها منتشرة في المخطوطة كلها — وإن كانت تبدو في أولها أكثر — وهي : « وعمروها ذريته »^(١) ، « استولوا الترك »^(٢) ، « استولوا آل حنيحن »^(٣) « وملكوها الروم »^(٤) ، « حاصروا العجم »^(٥) ، « فانكسروا أهل الرياض »^(٦) وأما الأخطاء النحوية الأخرى فكثيرة منها :

١ — عدم نصب المفعول : « وأخذ (الشريف) أموال وحبس رجال »^(٧) ، « وأخذ (الشريف) من أهل العينة مال كثير »^(٨) وفيها وقعة الشبول هم وأهل التويم قتلوا من أهل التويم عدد كبير »^(٩) .

٢ — عدم الاتباع بالرفع : « وهم آل حمد المعروفين »^(١٠) .

٣ — عدم جر المضاف إليه أحياناً « آل ابو راجح وآل أبو هلال »^(١١) .

(١) المخطوطة ص ٢ .

(٢) المخطوطة ص ٣ .

(٣) المخطوطة ص ٤ .

(٤) المخطوطة ص ٢٥ .

(٥) المخطوطة ص ٥٩ .

(٦) المخطوطة ص ١٢٧ .

(٧) المخطوطة ص ٣ .

(٨) ، (٩) المخطوطة ص ٩ .

(١٠) المخطوطة ص ٤ .

(١١) المخطوطة ص ٨ .

- ٤ - عدم « نصب الحال : » وبقي خايف ^(١) .
- ٥ - عدم نصب خبر كان : « وكان البرد في هذه السنة عظيم » ^(٢) .
- ٦ - نصب الفاعل : « ومات كثيراً من الناس جوعاً ومرضاً » ^(٣) .
- ٧ - نصب الخبر : دون دخول ناسخ عليه : « وهي جنسين » ^(٤) .
- ٨ - عدم نصب اسم إن : « ثم إن غالب اشتد به الحال » ^(٥) .
- ٩ - عدم حذف النون للإضافة : « نحو ألفين نخلة » ^(٦) .
- ١٠ - الإتيان بهجزة زائدة في أول الكلمة توصلاً إلى النطق بالساكن ، وهي منتشرة في المخطوطة ومنها : « اعريعر » ^(٧) ، « ارغبة » و « انهيه » ^(٨) و « اعشير » ^(٩) و « ارحمه » ^(١٠) .
- ١١ - عدم التطابق بين العدد والمعدود وبخاصة العدد واحد ، واثنان ، والأعداد المركبة ، وأمثلة هذا النوع كثيرة منها : « سنة أحد عشر ومائة وألف » ^(١١) ، « سنة واحد وأربعين » ^(١٢) ، « سنة اثنين وخمسين بعد الألف » ^(١٣) و « سنة اثني عشر ومايتين وألف » ^(١٤) ، « سنة ثلاثة عشر ومايتين وألف » ^(١٥) .

-
- (١) المخطوطة ص ٤٥ .
- (٢) المخطوطة ص ٤٨ .
- (٣) المخطوطة ص ٥٧ .
- (٤) المخطوطة ص ١١٧ .
- (٥) المخطوطة ص ٧٧ .
- (٦) المخطوطة ص ٦٢ .
- (٧) المخطوطة ص ٥١ .
- (٨) المخطوطة ص ١٠٦ .
- (٩) المخطوطة ص ١٠٩ .
- (١٠) المخطوطة ص ٢٦ .
- (١١) المخطوطة ص ٢٦ .
- (١٢) المخطوطة ص ٢٦ .
- (١٣) المخطوطة ص ٥ .
- (١٤) المخطوطة ص ٨ .
- (١٥) المخطوطة ص ٧٠ .

ثالثاً - الأخطاء اللغوية : ويكاد يكون مرد الأخطاء اللغوية إلى أحد ثلاثة أمور :

(أ) اشتقاق بعض الكلمات دون أن يكون له وزن في اللغة .

(ب) كلمات لها أصل في اللغة . لكنها استعملت استعمالاً محلياً خاصاً له دلالة معنوية غير ما اشتهر به في اللغة الفصحى : وقد يختلف أحياناً مدلولها بحسب السياق .

(ج) كلمات لا أعرف لها أصلاً في اللغة ، وقد يكون لها اشتقاق بعيد أو معنى مجازي . ومن الأمثلة على النوع الأول : « انهدمت الكعبة بسبب السيل وعمرت »^(١) و « وجملة الذي انقتل من أهل الرياض . . . »^(٢) و « وانصاب سعود بعده جراحات »^(٣) .

ومن الأمثلة على النوع الثاني : « جاء برد ودق زرع ملهم ، وريح شديدة طاح منها نخل كثير في البير ، وطاح قصر رغبة »^(٤) . المقصود بكلمة طاح هنا « سقط » . أما في المثالين الآتين : « طاح دهام بن دواس »^(٥) و « وفيها فتحت الهلالية وطاحوا جميع أهل القصيم »^(٦) . المقصود بكلمة طاح هنا : أذعن واستسلم وطلب الصلح .

ومثل : « وذلك أن العناقر قتلوا حشاشة أهل حريملا »^(٧) : فقد يسبق إلى ذهن من يعيش بعيداً عن منطقة نجد أن الحشاشة فرقة تشبه فرقة الحشاشين التي أسسها الحسن بن الصباح في قلعة الموت عند بحر قزوين ، ولها مراكز في بلاد الشام ، وقد اشتهروا بالدس على المسلمين ومحاولة اغتيال زعماء الأفاقة الإسلامية في عصر

(١) المخطوطة ص ٥ .

(٢) المخطوطة ص ٩٥ .

(٣) المخطوطة ص ١٤٩ .

(٤) المخطوطة ص ٣٢ .

(٥) المخطوطة ص ٥٠ .

(٦) المخطوطة ص ٥٧ .

(٧) المخطوطة ص ١٦ ، ١٧ .

الحروب الصليبية ، وهم فرقة من الباطنية . غير أن المقصود هنا بالحشاشة الرجال الذين يذهبون إلى الصحراء لجلب الحشيش وهو العشب والكأ .

ومن ذلك نوح ، ومناخ ، ومتناوخين في العبارات التالية : « نوح الشريف محمد الخارث آل مغيرة على عقربا »^(١) نوح من أناخ الراحلة إذ طلب منها أن تبرك والمقصود هنا هجم عليهم واضطربهم للمنازلة وهزمهم .

ومثل : « وفيها مناخ العمار »^(٢) وهنا يعني المصافاة للقتال ، لأن القبائل المتحاربة كل منها قد أناخ إبله ، وعزم على البقاء للحرب . وأقاموا عليه شهراً متناوخين »^(٣) . أي مقيمين للحرب .

ومثل : « وأظهروه من عنيزة بعد فضيه بريدة »^(٤) الفض في اللغة الفتح ومنه فض البكارة ، وكلمة فضية هنا المقصود بها الاستباحة .

ومن أمثلة النوع الثالث : كلمة « معاويد » في العبارة الآتية : « وسبب ذلك أن أهل البير أخذوا قافلة لأهل العيينة قاضيينها في معاويد »^(٥) . والمعاويد هنا هي الإبل التي يتضح عليها الماء للزراعة .

ومثل كلمة « خطيطه » ، « حصل خطيطه من بيان إلى الوشم إلى الدجاني »^(٦) يعني هطول أمطار على منطقة معينة انتظمتها سحابة أو سحب ولعل منشأ الاشتقاق أنها اتخذت خطأ معيناً .

(١) المخطوطة ص ١٠ .

(٢) المخطوطة ص ٣٤ .

(٣) المخطوطة ص ٤١ .

(٤) المخطوطة ص ٢٥ .

(٥) المخطوطة ص ٤٣ .

(٦) المخطوطة ص ١١ .

ومثل كلمة « هثلوا » ، « وهي أول صلهاام المحل المشهور هثلوا فيه عربان عدوان وغيرهم من الحجز »^(١) ، ومعنى هثلوا تهافتوا على القرى والبلدان والتجأوا إليها نتيجة لهلاك مواشيهم وأموالهم ، وانقطاع سبل العيش في البادية .

رابعاً : الأخطاء الإملائية : المخطوطة مليئة بالأخطاء الإملائية ومن الصعب الجزم بنسبتها كلها إلى الفاخري ، إذ من المحتمل جداً أن يكون بعضها على الأقل من الناسخ ، وبخاصة أن الخطأ الموجود « رعت » في مقدمة الناسخ القصيرة من نوع الأخطاء المتناثرة في المخطوطة .

وأياً كان الأمر فإن هذه الأخطاء الإملائية ظاهرة ويمكن إدراكها من اللوحات الأولى .

ومن نوع الأخطاء الإملائية طريقته في كتابة الهمزة إذا كانت وسطاً فالقاعدة أن الهمزة - في الوسط - إذا كانت مكسورة أو ما قبلها مكسور تكتب على نبرة ، وإذا كانت مفتوحة أو ما قبلها مفتوح وليست مكسورة فتكتب على ألف وإذا كانت مضمومة أو ما قبلها مضموم وهي ليست مكسورة تكتب على واو ، وإذا كانت ساكنة فتكتب على السطر . إلا أن طريقة الكاتب جانبت هذا ، فهو يكتبها على السطر بكل حال لكن :

إذا كانت الهمزة مكسورة أتبعها بياء بعدها .

وإذا كانت الهمزة مضمومة أتبعها بواو بعدها .

وإذا كانت الهمزة مفتوحة كتبها على السطر .

ومن أمثلة الأول : « حج أجود بن زامل رئيس الأحسا »^(١) وفيها مات الرئيس محمد بن سعود رحمه الله »^(٢) .

(١) المخطوطة ص ٢ .

(٢) المخطوطة ص ٥٥ .

ومن أمثلة الثاني : « وهم من رعوساء العناقر » ^(١) .

ومن أمثلة الثالث : « رعيت » ^(٢) .

ومن الأخطاء الإملائية في الهمزة : إسقاط الهمزة في الآخر مثل : غلا ، بلا ،
الاحساء ، السما .

أو إسقاطها في غير مواضع إسقاطها ، مثل : همزة ابن في بداية السطر وإذا
لم تكن بين علمين ، مثل : « وصار كل بن جد قبيلة » ^(٣) .

ومن الأخطاء الإملائية الأخرى ، الألف التي تلي واو الجماعة ، وهو في هذا
النوع لا يلتزم بقاعدة معينة ، فقد يكتبها أحياناً ويتركها أخرى ، وأمثلة هذا النوع
أكثر من أن تحصر .

ومن الأخطاء الأخرى دمج كلمتين معاً مثل « اثنعشر » ^(٤) . و « خمستعشر » ^(٥)
و « سبعتعشر » ^(٦) ، ومثل : « انشاء الله » ^(٧) .

أهم الموضوعات التي تناولها الفاخري في مخطوطته :

لم تقتصر الأخبار التي ذكرها الفاخري في تاريخه على الأخبار السياسية ، بل
تناولت جميع جوانب الحياة العامة . ولعل من أهم الموضوعات التي استأثرت باهتمامه
هي :

-
- (١) المخطوطة ص ٣٨ .
 - (٢) المخطوطة ص ١ .
 - (٣) المخطوطة ص ٩ .
 - (٤) المخطوطة ص ٢ .
 - (٥) المخطوطة ص ٣ .
 - (٦) المخطوطة ص ٤ .
 - (٧) المخطوطة ص ١٤٣ .

أولاً - الصراعات بين الأمراء المحليين :

أصبحت بلاد نجد - بعد أن انتقل مركز الثقل من العارض إلى الاحساء - مجزأة إلى إمارات صغيرة ، تحكم كل إمارة قرية واحدة أو أكثر وكانت دائماً في صراع مستمر وتنافس على السلطة وقد لفتت هذه الظاهرة أنظار المؤرخين ومن بينهم الفاخري لما لها من مردود على الحياة العامة ، إذ أنتجت هذه المنافسات حروباً ، دائمة ، كان من آثارها أن الحياة في نجد كانت حياة ذعر وقلق وخوف . ولذا فقد تناولها الفاخري بتفاصيل واسعة وشغلت حيزاً كبيراً من أخبار مخطوطته .

ومن يدرس هذه المخطوطة يجد أن أحداثها تكاد تكون منصبة على أخبار منطقة سدیر ، لأنها المنطقة التي ولد فيها المؤلف وعاش فيها . ثم أن من نقل عنهم - وأهمهم المنقور - كان من أهل هذه المنطقة .

ويليها في الاهتمام منطقة المحمل ، ثم الشعيب ، فالعارض ، فالوشم ، فمنطقة الحرج . أما بقية الأقاليم الأخرى من بلاد نجد - كمنطقة القصيم ، ومنطقة حائل ، وعالية نجد ، والعارض - فكان نصيبها أقل بكثير من الأقاليم السابقة . ولعل السبب في ذلك بعد الشقة وفقدان الأمن والمخاطر التي يمكن أن يتعرض لها الباحث أثناء رحلته العلمية .

ومنذ بداية المخطوطة حتى بداية الحديث عن أخبار الدولة السعودية يكاد يتخذ المؤلف منهجاً واحداً يترجم هذه الفكرة . أما عند بدء الحديث عن أخبار الدولة السعودية فإن أخبارها كوحدة سياسية واحدة تطغي على التزعة الإقليمية في رواية الأخبار . وساعد - بالإضافة إلى هذا - أمن الطريق ، واستقرار الأوضاع في الدولة .

فلما سقطت الدولة ، ومرت البلاد بفترة اضطراب ، عادت فيها الفوضى ، واستيقظت الفتن والثارات القديمة ، والتنافس على السلطة من جديد ، كان لأخبار منطقتهم (سدیر) وما يجاورها نصيب أكثر من الاهتمام . حتى إذا ما عادت الدولة

السعودية الثانية في عهد الإمامين تركي بن عبد الله وابنه فيصل ، شغلت أخبارها حيزاً كبيراً من المخطوطة وإن لم تكن المستوى نفسه الذي كانت عليه عند روايته لأخبار الدولة السعودية الأولى . ويعلم ذلك تاريخياً بأن الدولة السعودية لم تنتظم جميع مناطق الجزيرة العربية التي كانت داخلة تحت ظل الدولة السعودية الأولى . فقد بقيت بعض المناطق خارجة عنها ، فكان لا بد أن يكون لأخبارها نصيب في المخطوطة.

ثانياً : أخبار الدولة السعودية :

لا شك أن قيام الدولة السعودية يعد نقطة تحول في تاريخ نجد خاصة ، وتاريخ الجزيرة عامة ، استأثرت باهتمام المؤرخين . والفاخري كمؤرخ عاصر نضج الدولة السعودية الأولى ، وقيام الدولة السعودية الثانية واكتمالها في عهد الإمام فيصل لا بد أن يكون لها نصيب من كتاباته ، فقد تناول تاريخها بشيء من التفصيل منذ قيامها فيما بعد ١١٦٠هـ وبتفصيل أكثر منذ بداية العقد الثالث من القرن الثالث عشر الهجري فتحدث عن حروبها مع القوى المحلية في نجد . ثم مع حكام الاحساء ، ومع جيوش ولاية الأتراك في العراق ، ثم صراعها مع أشراف مكة الذي انتهى بضم الحجاز إلى الدولة السعودية الأولى .

ثم تحدث عن النزاع بينها وبين الدولة العثمانية الذي انتهى بتكليف محمد علي والي مصر بالقضاء عليها ، أو باسترداد الحجاز على الأقل . ثم أخبار الحملات التي جردها لهذا الغرض حتى انتهى إلى حصار الدرعية ، وقد أفاض المؤرخ في ذكر أخباره وعدد الوقعات الحربية التي دارت بين الجانبين فبلغت عنده ثمان عشرة موقعة . ثم ما تلا ذلك من إجراءات تعسفية قام بها إبراهيم باشا تنفيذاً لأوامر تلقاها من والده بتخريب بلاد نجد . وقطع نخيلها ، وبخاصة قصبات الأقاليم .

وعندما بدأ الإمام تركي كفاحه لبناء الدولة السعودية الثانية كان الفاخري قد عاد من الاحساء وأصبح يرقب تطورات الأوضاع من قرب ، فسجل ما استطاع من

أخبارها حتى نهاية عهد الإمام تركي ، وكعاداته فقد تناول فترة الاضطراب بشيء من الإيجاز إلا فيما يتعلق بأخبار صراع الإمام فيصل ضد جيوش محمد علي التي بعثها بقيادة اسماعيل آغا ثم خورشيد باشا ، وما انتهت إليه هذه الحروب وهو اعتقال الإمام فيصل وإرساله إلى مصر مرة ثانية . وقد علل ذلك بوجود خيانة في صفوف قومه حيث تناولها بشيء من التفصيل .

وفي الفترة التي تلت هذا تحدث عن حكم خالد بن سعود - نائباً عن محمد علي - ثم عن سحب جيوش محمد علي تنفيذاً لمعاهدة لندن ١٨٤٠ م (١٢٥٦ هـ) ، وتولى نواب السلطان العثماني على الحرمين نتيجة لذلك .

وفي حديثه عن أخبار الإمام فيصل تلمح تعاطفه معه - وبخاصة في حروبه مع أهل القصيم - وقد فصل في ذكر أخبار هذه الحروب - وإن قلت عما رواه ممن عاصره من المؤرخين كابن بشر أو جاء بعده كابن عيسى .

ثالثاً - أخبار من خارج الجزيرة العربية :

بالرغم من أن كتابة ابن غنام اتسمت بالمحلية الضيقة ، وكذلك كتابة ابن بشر إلى حد كبير ، إذ لم يحاول ربط الأحداث الداخلية بالأحداث الخارجية ، أو التعرف على كنه السياسات الخارجية وحتى الأخبار التي رواها ابن بشر عن الأحداث الخارجية كانت محدودة جداً ولم تكن ذات قيمة سياسية . وهذه الصفة لم يسلم منها الفاخري ، إلا أنه بمقارنته بالمؤرخين السابقين يعد أكثر انطلافاً وتفهماً لأوضاع البلاد التي روى طرفاً يسيراً من أخبارها .

ولما كان العراق في ذلك الوقت هو المتنفس القريب والوحيد لأهل نجد يلجأون إليه كلما حزبتهم قسوة المعيشة في نجد وصعوبة الحياة فيه وربما لأسباب أخرى . ومن ناحية أخرى فإن تجارة نجد الخارجية - إذا صح أن لهم تجارة خارجية - فإن العراق هو المنفذ والسوق الوحيد الذي يتعاملون معه ، ونتج عن ذلك أن سكنت أسر نجدية كثيرة في العراق وبخاصة البصرة والزيبر وسوق الشيوخ .

لهذا كله نجد أن العراق استأثر - من بين صثويه مصر والشام - بأخبار أكثر في مخطوطة الفاخري . ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في أخبار السنوات ١٠٤٨هـ ، ١١١١هـ ، ١١٨٩هـ ، ١٢٤٦هـ ، ١٢٧١هـ ، فيما يتعلق بالحياة السياسية فيه . هذا فضلاً عما تناوله من أخبار الأوبئة ووفيات بعض الشخصيات البارزة من علماء وتجار وغيرهم ممن يرجعون إلى أصل نجدي .

ومن الأخبار التي نتحدث عن خارج الجزيرة ما ذكره في جوادث ١٢١٢هـ . عن الغزو الفرنسي لمصر سنة ١٧٩٨م . وقد عبر عن شعوره تجاه هذا الحدث المؤلم بأبيات أوردها - كما يقول - لبعض فضلاء أهل الحرمين .

وقد ذكر من أخبار الشام تولية يوسف القنج ولاية الشام وعزل عبدالله العظم في سنة ١٢٢٢هـ ، ومنع الحجاج من الشام من أداء فريضة الحج عام ١٢٤٨هـ ، لأن بلاد الشام كانت في حال حرب نتيجة لحصار جيوش ابراهيم باشا لها وقفل هذه الجيوش الطريق المتجه إلى الحجاز .

ومن الأخبار التي رواها عن خارج الجزيرة اهتمامه بذكر تولية السلاطين العثمانيين ووفياتهم .

رابعاً - الوفيات :

وتضمنت المخطوطة - بالإضافة إلى ذلك - ذكر وفيات شخصيات من فئات متعددة فلم يقتصر ذلك على وفيات الأعيان فقط من العلماء والحكام والأمراء ، بل تعداه إلى شخصيات أخرى كالشعراء وبعض من قتلوا في حروب الدولة السعودية ، وربما الشخصيات العادية . فهو في هذا يشبه من سبقوه من المؤرخين المسلمين مثل ابن الجوزي ، وابن الأثير ، وابن كثير ، وابن تعري بردي ، والمقرئزي ، والجبرتي وغيرهم .

ولم يقتصر اهتمامه بذكر وفاة من توفي من علماء نجد ، بل تعداه إلى الحجاز كالشيخ محمد حياة السندي بالمدينة مثلاً ، والإمام الصنعاني باليمن ، كما نجد منه اهتماماً خاصاً ببعض العلماء مثل الشيخ أبو النجا الحجاوي ، والشيخ منصور بن يونس البهوتي ، والشيخ مرعي بن يوسف وغير هؤلاء ممن هم خارج الجزيرة . ويعلل هذا بأن هؤلاء العلماء من فقهاء الحنابلة ، ولهم شهرة علمية بسبب مؤلفاتهم في فقه المذهب الحنبلي ، ولهم سمعة حسنة في الأوساط النجدية ، لأن كثيراً من علماء نجد يعدون تلامذة لهم تلقوا العلم منهم مباشرة أو من مؤلفاتهم .

خامساً - الظواهر الجوية :

(أ) الأمطار :

تعتمد الحياة في نجد في الفترة التي أرخ لها الفاخري على الرعي والزراعة والتجارة المحلية التي تعتمد على هذين العنصرين ، وإذا كانت هناك تجارة خارجية فمحدودة ، وهذا نجد أن أخبار الأمطار والجذب والقحط استأثرت باهتمامه . فالحياة في البادية تعتمد على الأمطار ، فإذا أعشبت الأرض توفر المرعي للمواشي ، وسمنت وأنتجت اللبن ومشتقاته الذي يعتبر أهم العناصر في حياة البدوي ومن أهم مشتقات الألبان التي يجلبها لأسواق الحاضرة السمن والأقط (اللبن الحامض المجفف) . وكذلك يجلب حيوانات اللحم من الإبل والغنم بالإضافة إلى العشب .

والزراعة تعتمد على مياه الآبار التي يرتفع منسوبها وينخفض تبعاً لغزارة الأمطار وشحها ، كما أن هناك نوعاً من الزراعة يعتمد على الأمطار . والأعشاب التي تنمو على الأمطار عنصر مهم في حياة الفلاح ، حيث يدخرها لمواشيه ، وخاصة للإبل التي ينضج عليها الماء . لهذا تتوقف الحياة في نجد على الأمطار ، فإذا غزرت انتعشت الحياة في البادية والحاضرة وإذا قلت أصابهم الجذب والقحط وهلكت المواشي وأصبحت سبل العيش محدودة .

(ب) الرياح :

كذلك اهتم الفاخري بتسجيل حركة الرياح ، وخاصة العاصف منها ، وذلك لسبيين أولهما أن الفاخري نشأ في بيئة دينية ، وقد قص القرآن من أخبار من سبقنا من الأمم قوم هود الذين أهلكوا بريح صرصر عاتية ، وإن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يتغير وجهه إذا هبت الريح ، فالفاخري ينظر إليها من هذه الزاوية وإن الريح — كما في الحديث — من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب . والسبب الثاني ما تركه من أضرار مادية كالإطاحة بالنخيل والأشجار والمباني . وقد يشم من صنيعه أحياناً أنه يرى أن هبوب الريح بهذه القوة نذير غضب من الله بسبب المعاصي ، « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون »^(١) .

(ج) الكسوف والخسوف :

وكذلك اهتم أيضاً بأخبار خسوف الشمس ، وكسوف القمر ، انطلاقاً من نظرتة الدينية ، وكما ورد في الحديث عندما خسفت الشمس ، وخطب الناس الرسول صلى الله عليه وسلم موضعاً الحكمة من ذلك بقوله : « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يَخْوْفُ اللَّهُ بِهِمَا عِبَادَهُ » .

كما عنى الفاخري بالمذنبات (نجم له ذنب طويل) على اعتبار أنها ظاهرة جوية غريبة تدعو إلى الاعتبار وإلى محاسبة الإنسان نفسه في سلوكه مع الله . وهناك أيضاً فكرة محلية أن هذه المذنبات لا تظهر إلا في سني القحط والجذب والفقر .

(١) سورة الروم ، آية رقم ٤١ .

سادساً – الأوبئة :

ومن الموضوعات التي سجلت المخطوطة أخبارها الأوبئة كالطاعون ، والجذري والحصبة ، والسعال الديكي ، والزلات الشعبية المختلفة . وهذا يمثل اهتمامه في جميع جوانب الحياة الصحية والاجتماعية .

سابعاً – المجاعات :

ومن بين الأمور التي عنى بها الفاخري أخبار المجاعات التي تأتي نتيجة أما للقحط والجذب ، وأما لارتفاع الأسعار بسبب رداءة المحصول ، أو هلاك الزروع ببعض الآفات كالدبا والجراد والصفار (مرض يصيب الزرع) وهو يعكس آثارها على المجتمع ، وما خلفته من أضرار دفعت الناس إلى تسميتها بأسماء مختلفة ، مثل جلدان وبلادان ، وصلهام جرمان ، وسمدان ، وقرادان ، ودولاب وغيرها . وهذه التسميات أطلقت على السنوات العجاف . ولهذا إذا جاء الخصب بعدها سموه رجعان . مثل « دلهام رجعان صلهام » ومثل « رجعان دولاب ، وخيران » .

وعندما تحدث سنة ثمان وعشرين ومائة وألف عن القحط الذي أصاب الناس ، لفت نظره عدم تسميته مما يدل على أنها ظاهرة فريدة في نظره ، حيث أن كل قحط كان يطلق عليه اسم يعرف به ويؤرخ به أيضاً .

المصادر التي أخذ عنها :

لم يذكر الفاخري المصادر التي استقى منها مادته التاريخية ، وقلنا في تحليل سابق ، لعل مرد ذلك أنه لم يكتب مقدمة لتاريخه يوضح فيها مصادره .

ولما كان تاريخه يبدأ بعام ٨٥٠هـ ، فإنه يغلب على الظن أنه نقل ما في هذه السنة من أخبار عن محمد بن علي بن سلوم ، ولعل مما يستأنس به لصحة هذا الاستنتاج أن ابن بشر – وهو ممن نقل عن الفاخري – ذيل على هذه الأخبار بقوله : « وقد رأيت نقلاً عن كلام محمد بن سلوم : أن قبيلة المردة من بني حنيفة من قبائل

بكر بن وائل ، وذكر أنه نقله من كلام راشد بن خنين قاضي الحرج «^(١) ومن الجائز أن يكون الفاخري نقله مباشرة من راشد بن خنين .

أما سنة ٩١٢هـ فإن الخبر الذي أورده قد تناقله بعض مؤرخي الحجاز مثل ابن فهد والعصامي . ومن العسير الجزم بتعيين من نقل عنه منهم ، وما إذا كان قد نقل عنهم مباشرة أو بواسطة .

ومنذ عام ٩٤٨هـ وهي بداية تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور - كما وصفه ابن عيسى - فإن المفترض أن يكون الفاخري قد اطلع عليه كاملاً ونقل عنه أحداث السنوات قبل سنة ١٠١١هـ .

أما ما بعد ذلك وحتى نهاية ١١٢٣هـ وهي السنة التي ينتهي فيها تاريخ المنقور فنكاد نجزم بنقله عنه ، وذلك نتيجة لمقارنة تاريخ المنقور المخطوط منه والمطبوع وبخاصة النسخة التي رمز لها ناشره أستاذي (الدكتور عبد العزيز الخويطر) بالنسخة (ب) . ومثال ذلك أن السنوات ١٠٥٣هـ ، ١٠٥٤هـ ، ١٠٥٥هـ ساقطة في المنقور^(٢) كما في الفاخري .

وكذلك فإن أحداث سنة ١٠٥٨هـ موجودة في النسخة (أ) من المنقور^(٣) وليست في النسخة (ب) كما هو الحال في مخطوط الفاخري .

ومثل ثالث يتضح من مقارنة الخبر التالي : « في سنة سبعين بعد الألف تولى عبد الله بن أحمد بن معمر في العينة »^(٤) هذا نص الفاخري . أما النص عند المنقور في النسخة (أ) فهو كالتالي : « وشاخ عبدالله بن حمد في العينة » وأما في (ب) فهو « شاخ عبدالله بن أحمد »^(٥) .

(١) ابن بشر ج ٢ ص ١٢ .

(٢) المنقور ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٣) المنقور ص ٤٨ .

(٤) المخطوط ص ١٠ .

(٥) المنقور ص ٥١ .

وهذه المقارنة تبين لنا أولاً نقل الفاخري عن المنقور ، وثانياً اعتماده على النسخة (ب) . هذا بالإضافة إلى ما سبق ذكره من إشارة الفاخري إلى نقله عن المنقور في موضعين^(١) من المخطوط .

أما الفترة التي تقع بين نهاية تاريخ المنقور (١١٢٣ هـ) وبين السنوات التي استطاع أن يسجل الأحداث فيها كمعاصر لها ، فإن هذه الفترة ، لم تشر مصادر تاريخ نجد إلى تعيين المؤرخين الذين دونوا تاريخ هذه الفترة بصفة قاطعة ، لكن هناك إشارات تدل على أن الشيخ راشد بن خنين قاضي الخرج ، والشيخ محمد بن علي ابن سلوم قد دونوا تاريخ هذه الفترة ومن المحتمل أن يكون الفاخري قد نقل عن ابن سلوم ، وهو من معاصريه ومن أبناء منطقته . وكذا عن راشد بن خنين أما مباشرة أو بواسطة ابن سلوم .

أما الأحداث التي بعد ذلك فهي من روايته هو كشاهد عيان لهذه الأحداث أو معاصر لها على الأقل .

وكذا بالنسبة للجزء الذي دونه ابنه بعد وفاته (١٢٧٧ هـ) فهو بروايته كشاهد للأحداث أو معاصر لها في أدنى الفروض .

حقيقة أن ابن غنام قد أرخ للفترة من ١١٥٧ هـ حتى ١٢١٢ هـ — كما يوجد في النسخة المطبوعة من تاريخه — لكن لا نلمس أثراً لأخذه عنه أو نقله منه ، بل إن تردده في ذكر خبر انتقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العيينة إلى الدرعية قد يدل على أنه لم يطلع على تاريخ ابن غنام^(٢) .

(١) المخطوطة ص ٢٠ ، ٢٤ .

(٢) المخطوطة ص ٤٧ .

المصادر التي نقلت عن الفاخري :

١ - ابن بشر :

ألف ابن بشر كتاباً سماه « عنوان المجد في تاريخ نجد » في جزئين ، كان هدفه منه تدوين تاريخ الدولة السعودية بدوريتها الأول والثاني . ولما كان قد اطلع على أحداث سابقة دونها محمد بن سلوم^(١) . وأخرى سجلها شخص لم يذكر اسمه^(٢) ، يتضح من مقارنة ما أورده ابن بشر (في السوابق) أنه الفاخري ، وهو ما أيده الشيخ حمد الجاسر^(٢) في مقدمته لتاريخ ابن عيسى (الحوادث) ، فإن ابن بشر لم يشأ أن يجعلها في مقدمة كتابه لثلاث تطنى على الهدف الأساسي من وضع الكتاب وهو تاريخ الدولة السعودية فذيل كل سنة من سنوات تاريخ الدولة السعودية بأحداث سنة سابقة ، وسماها (سابقة) ومجموعها (السوابق) . وتنتهي هذه السوابق بانتهاء الجزء الأول في النسخة المطبوعة الذي ينتهي عام ١٢٣٧ هـ .

أما النسخة المخطوطة فتستمر السوابق فيها حتى بداية تاريخ الدولة السعودية الأولى سنة ١١٥٧ هـ .

وبمقارنة هذه السوابق بالأحداث الواردة في مخطوطة الفاخري للسنوات نفسها (من ٨٥٠ هـ - ١١٥٧ هـ) تبين أنه نقلها عن الفاخري ، مع ذكر بعض الإضافات أحياناً والأمثلة على ذلك كثيرة منها الأحداث الواردة في السنوات ٨٥٠ هـ ، سنة ٩١٢ هـ ، سنة ١٠٤٥ هـ ، سنة ١٠٤٨ هـ ، سنة ١٠٤٩ هـ ، سنة ١١٣٩ هـ ، سنة ١١٤١ هـ ، سنة ١١٥٥ هـ .

(١) ابن بشر ج ١ ص ١٣ .

(٢) ابن عيسى : الحوادث ص ٩ .

٢ - ابن عيسى :

ألف الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى كتابين : أحدهما « عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر » ، بدأه من حيث وقف ابن بشر في النسخة المطبوعة ١٢٦٧هـ ، وقد ألفه تنفيذاً لإرادة الملك عبد العزيز آل سعود في إكمال أخبار الدولة السعودية الثانية على النمط الذي سار عليه ابن بشر . وقد نشر هذا الكتاب ملحقاً « بعنوان المجد » طبعة (أبا بطين) .

أما الكتاب الثاني ، قد سماه الناشر « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان » ، وقد نشره وعلق عليه الشيخ حمد الجاسر ، والكتاب فيما عدا أحداث ثلاثة سابقة على سنة ٨٥٠هـ ، منقولة من الجزء المخطوط من تاريخ ابن لعبون ، قد اعتمد اعتماداً كلياً على ما كتبه الفاخري منذ عام ٨٥٠هـ وحتى نهاية المخطوطة ، إلا أنه لم يشر اليه ضمن مصادره وقد نبه الشيخ حمد الجاسر إلى ذلك^(١) .

القيمة التاريخية للمخطوطة :

ومن خلال هذه الدراسة لمخطوطة الفاخري يتضح لنا — بالإضافة إلى ما سبق في المقدمة — القيمة التاريخية لهذه المخطوطة التي أدركها الأستاذ الدكتور عبد العزيز الحويطر في مقدمة تاريخ المنقور^(٢) . عند مقارنته بتاريخ ابن بشر ، وابن عيسى فقال : « وخاصة الفاخري ، فرغم اختصاره إلا أن نفعه ليس له حدود » .

وتبدو أهميته في أنه غطى الفترة الواقعة بين نهاية تاريخ المنقور (١١٢٣هـ) وقيام الدولة السعودية الأولى (١١٥٧هـ) ، وهي حلقة مفقودة ، لولا تاريخ الفاخري

(١) ابراهيم بن عيسى : الحوادث — المقدمة ص ٩ ، ٢٠ .

(٢) المنقور ص ٥ .

لضاع تاريخ هذه الفترة . وأن الفترة التي كتبها كشاهد عيان أو معاصر لها اتسمت بالدقة والاعتدال وعدم التحيز ، والإيجاز مع التركيز دون تكلف أو تنميق للأسلوب .

كما أن منهجه تميز عن صنويه (ابن غنام وابن بشر) بعدم الاختصار على ذكر أخبار الجزيرة ، بل تعداها إلى البلاد العربية المجاورة (العراق والشام ومصر) .

إضافة إلى أنه يمثل حلقة في سلسلة مؤرخي نجد في العصر الحديث من ابن بسام إلى ابن ناصر ، وإن من عاصره من المؤرخين أو جاء بعده قد اعتمد على كتابه أما صراحة أو دون الإعلان عن ذلك .

